ISSN: 2750-6142

المجلد 4، العدد 12، 2025
Vol: 4 / N°: 12 (2025)

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS

# Communication in Translation: Peter Newmark's Approaches under the Microscope

**Rafeeq Hameed Kaid Alomary**

Taiz University, Taiz, Yemen

*Email:* rafeeqomary@gmail.com
*Orcid*: 0009-0008-8431-9268

| Received | Accepted | Published |
|---|---|---|
| 08/02/2025 | 28/05/2025 | 05/07/2025 |

doi: 10.63939/AJTS.2fd5mg92

**Cite this article as:** Alomary, R. H. K. (2025). Communication in Translation: Peter Newmark's Approaches under the Microscope. *Arabic Journal for Translation Studies, 4*(12), 77-98.

## Abstract

This study conducts a critical conceptual analysis of Peter Newmark's communicative and semantic translation theories, as presented in Approaches to Translation. Using rigorous textual and contextual examination of Newmark's original writings, it interrogates the theoretical foundations and implications of these two approaches, especially their challenge to traditional linguistic equivalence models. The analysis reveals how communicative and semantic strategies function as complementary, context-sensitive tools rather than mutually exclusive options. Findings highlight the flexibility of Newmark's dual framework but also identify significant challenges for its application in Arabic translation scholarship, including theoretical accessibility and cross-linguistic adaptation. Despite these challenges, the study notes increasing scholarly awareness of the theory's relevance and its potential to enhance both Arabic translation practice and research. Ultimately, it emphasizes situating Newmark's contributions within broader linguistic and cultural discourses to promote more effective cross-cultural communication.

**Keywords:** Peter Newmark, Approaches to Translation, Communicative Translation, Semantic Translation

© 2025, Moussaoui, licensee Democratic Arab Center. This article is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, transform, and build upon the material, provided the original work is properly cited.

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
المجلد 4، العدد 12، 2025
Vol: 4 / N°: 12 (2025)
ISSN: 2750-6142

# التواصل في الترجمة: مقاربات بيتر نيومارك تحت المجهر

**رفيق حميد قائد العُمَري**

جامعة تعز، تعز، اليمن

*الايميل:* rafeeqomary@gmail.com

*أوركيد:* 0009-0008-8431-9268

| تاريخ الاستلام | تاريخ القبول | تاريخ النشر |
|---|---|---|
| 2025/02/08 | 2025/05/28 | 2025/07/05 |

doi: 10.63939/AJTS.2fd5mg92

**للاقتباس:** العُمَري، رفيق حميد قائد. (2025). التواصل في الترجمة: مقاربات بيتر نيومارك تحت المجهر. *المجلة العربية لعلم الترجمة، 4*(12)، 77-98.

## ملخص

تعتمد هذه الدراسة على تحليلٍ نقدي تكشف من خلاله مفاهيم نظرية الترجمة التواصلية والدلالية لبيتر نيومارك، كما وردت في كتابه [مقاربات في الترجمة]. ومن خلال تحليل أصيلٍ رصينٍ للنصوص وسياقاتها، تبحث الدراسة في الأسس النظرية والآثار المترتبة على هاتين المقاربتين، مع التركيز على تحديهما لنماذج التكافؤ اللغوي التقليدية. كما يكشف التحليل عن كيفية عمل المقاربتين، التواصلية والدلالية، كأدوات تكميلية استراتيجية حساسة للسياق، من غير أن تشكلا في ذاواتيهما خيارات حصرية تستثني إحداهما الأخرى في الغالب. تسلط النتائج الضوء على مرونة إطار نيومارك المزدوج، لكنها تؤكد في الوقت نفسه على التحديات الكبيرة التي تواجه فهمه وتطبيقه في دراسات الترجمة العربية، لا سيما صعوبات الوصول النظري إليه بلغته الأصلية وإمكانية تكييفه بين اللغات. وتشير الدراسة، من خلال تقديم نماذج تطبيقية لأفكار وأعمال باحثين في دراسات الترجمة وتطبيقاتها، إلى تزايد الوعي العلمي بأهمية النظرية وقدرتها على تعزيز ممارسة الترجمة العربية وأبحاثها. في النهاية، تؤكد الدراسة على نجاحها في وضع إسهامات نيومارك ضمن خطابات لغوية وثقافية أوسع نطاقًا لتعزيز التواصل الفعّال بين الثقافات.

**الكلمات المفتاحية:** بيتر نيومارك، مقاربات في الترجمة، الترجمة التواصلية، الترجمة الدلالية

©2025، العُمَري، الجهة المرخص لها: المركز الديمقراطي العربي.
نُشرت هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0).
تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

## 1. مقدمة الدراسة: مشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، وحدوده

### 1.1. مشكلة البحث

ترسم الدراسة فرضيةً منطقيةً تتمحور حول إشكالية فهم الترجمة التواصلية ومدى مقدرة المتخصصين في الحقل على التجاوب مع أطروحته وعلاقة ذلك بتطبيقاتها في واقع الترجمة العملي المعاصر. إنّ مشكلة فهم النظرية والتفاعل معها سلباً أو إيجاباً لا تزال قائمةً حتى اليوم ومشكلةً معاصرةً تتفاعل معها كافة قوى النقد الترجمي النظري والعملي عالمياً وعربياً. ولحل هذه المشكلة لابدّ من تحليل أفكار نيومارك بعناية مركزة واستعراض النقود المعاصرة لها والخروج بموقف نقدي واضح يبرز الأهمية ويرفع من مستوى الجهد المعرفي في حقل النظرية الترجمية وتطبيقاتها.

### 2.1. أهمية البحث

تبرز بجلاء أهمية هذه الدراسة ابتداءً بعنوان البحث وتزداد بروزاً في كل عنصر من عناصر هذا البحث .إنّ النظرية التواصلية لبيتر نيومارك لها وجود قائم بذاته في عالم الترجمة التنظيري ولها أهميتها في الجانب الأكاديمي والعملي في النشاط الترجمي؛ استقلت بصورتها رسمياً في دراسات الترجمة عالمياً فصار لزاماً على كل باحث في هذا المجال فهمها وتصديرها على مستوى البحث الأكاديمي ومستويات النشاط الأكاديمي بما يبرز هذه الأهمية ويجعل من النظرية شيئاً محسوساً قابلاً للنقل والبيان والنقد في مختلف اللغات ومنها العربية التي تعتبر وعاءً معرفياً مهماً لكثير من رواد الترجمة والمتخصصين فيها في عالمنا العربي وعالم الآخر. هذه المسَلّمة لها ارتباط وثيق بجملة من الأسئلة الاستقصائية، سواءٌ على مستوى الوصف أم التحليل النقدي أم كليهما معاً، والتي يتعين على الدارس التحقق منها والإجابة عليها بعمق للوصول إلى نتائج مُرضية بصرف النظر عن أي تباين نقدي مخالف قد يظهر في ثنايا تحليلنا لهذه الفرضية.

### 3.1. أهداف البحث

إنّ تركيز الدراسة على بيتر نيومارك دون غيره ليس لكونه منظّرا في هذا الحقل المعرفي ولكن لأهمية أطروحته النظرية التواصلية النابعة من وجوده في النشاط الترجمي على أرض الواقع محاضراً أكاديمياً ومترجماً وناقداً. ولنا أن نستعرض أهداف هذه الدراسة كما يلي:

أ- أول أهداف هذه الدراسة هو عرض مساهمته النظرية في ريادة المصطلح الترجمي التواصلي الوظيفي في حقلِ دراسات الترجمة.

ب- وثانياً معالجة أفكاره معالجة نقدية بحتة وسبرها في إطار أطروحته النظرية التواصلية التي يَغفل عنها البعضُ ويخلطها آخرون بأطروحة يوجين نايدا الدينامية أو بدلالية جوليان هاوس أو حتى بالترجمة الحرة وأشكالها المختلفة التي تتأرجح بين السياقية والغرضية بحسب ما تمليه بعض النظريات الترجمية الأخرى.

ج- وثالثاً وربما الأهم، جاءت هذه الدراسة هادفةً إلى لفت الانتباه أولاً، ومن ثم راميةً إلى جعل النظرية التي طورها الآخر في متناول المستفيد العربي إقليمياً وعالمياً. وحق لنا تحت هذا الهدف السامي ألاّ نُغفل حاجة الأقسام العربية في مختلف جامعات العالم العربي وعالم الآخر ومريديها من أساتذةٍ متخصصين في الشأن الترجمي ومن طلابٍ وباحثين إلى أبحاثٍ ودراساتٍ في هذا الشأن منشورةٍ بلغتِنا القادرةِ على الإفهام والإلهام في وقتٍ واحد.

### 4.1. حدود البحث

- **الحدود الموضوعية والفنية:** تحصرُ الدراسةُ نشاطها في تحليل الرؤية التواصلية لبيتر نيومارك دون غيره من المنظرين في حقل دراسات الترجمة للأهمية المعروضة آنفاً، وتسعى لتركيز الجهد النقدي في أهمّ عملٍ نظريٍ له يَعرِضُ فيه أفكاره بهذا الشأن في حدود أهداف الدراسة وفرضياتها: ألا وهو كتاب [مقاربات في الترجمة].
- **الحدود النظرية:** تتعدد النظريات التي تتقاطع مع الرؤية التواصلية لبيتر نيومارك وهذه التقاطعات هي حدود هذا البحث نظرياً. فكلُّ نظريةٍ أو تصورٍ أو حتى فكرة لها صلة برؤية نيومارك التواصلية ستجد نفسها حاضرةً وبقوةٍ في ثنايا البحث. وسيشكل حقل دراسات الترجمة دون غيره الإطار العام للدراسة ومنهجيتها.

## 2. فرضية البحث

تتمحور هذه الدراسة حول نظرية بيتر نيومارك في الترجمة، مرتكزة على الفرضية بأن مفهومه للترجمة التواصلية يتسم بوضوح وتميز لافتين، مما يمنحه أهمية مركزية عالمياً. يتضمن ذلك الافتراض أيضاً قدرته الواضحة على التمييز بينها وبين الترجمة الدلالية وتقييمه الدقيق لتعقيد وسلاسة كل منهما وفق رؤيته، بالإضافة إلى ريادته في مجال نظرية الترجمة التواصلية (مع الأخذ في الاعتبار أي تصورات نقدية أخرى قد تتباين مع هذه الرؤية). وأخيراً، تفترض الفرضية نجاحه في التوفيق بين الترجمة كعلم وفن، مما مكن نظريته من فرض حضورها وتأثيرها في الحقل الأكاديمي والبحثي.

## 3. الدراسات السابقة

إنّ الكتاب الذي ألّفه يوجين نايدا بعنوان [نحو علم الترجمة] في عام 1964 يتقاطع مع رؤية نيومارك التواصلية تقاطعاً مثيراً لكثير من التساؤلات والغرابة، ولهذا ستظهر رؤيةُ نايدا مصدراً ملهماً ومهماً تبني عليه هذه الدراسة مقاربتها التحليلية كون الكتاب يُعدُّ مثالاً سابقاً من الدراسات النظرية الترجمية التي بنى عليها نيومارك مفاهيمه ودراساته ونشاطه الترجمي. وهذا ما يعترف به أغلب المنظرين الذين ظهروا بعده أو عاصروه ومنهم نيومارك نفسه. الجدير بالذكر أن اللغة العربية حصلت على نصيبها من كتاب نايدا المذكور بهذا العنوان، ترجمهُ من العراق ماجد النجار ونشرته دار الحريّة في بغداد عام 1976، كما حصلت على نصيبها من كتاب نيومارك قيد الدراسة، ترجمه الدكتور من المملكة العربية السعودية محمود إسماعيل الصالح بعنوان *اتجاهات في الترجمة* والذي نشرته وكالة الأهرام للتوزيع في عام 1998. ونتمنى أن يتسع نشرُهما ليصبحا سهلَي المنال. وبرغم البعد الزمني لما نشره نايدا إلا أنه يظل مرجعاً معاصراً لكثير من الدراسات المعاصرة، اعترافاً من الباحثين من أهل التخصص بتفرده بالكثير من الفكر الترجمي التنظيري والعملي. وقد أشار إلى مدى تأثيره الأستاذ الكبير محمد عناني رحمه الله في كتابه (نظرية الترجمة الحديثة)؛ بل وأتى على اسم بيتر نيومارك من ضمن من تأثر بنايدا في إنجلترا.

إنَ الترجمة كما يراها بيتر نيومارك (1981) هي مهارة وفن وعلم ولا مجال عنده بتحديد القول وربطه بعموم النظرية. ولكننا بالمقابل نجده يؤكد ضرورة تلازم نظرياته مع عاملي الدقة والجودة وهذا ما أشار إليه بيم (2023) عند قوله: "إنّ نيومارك (1997، ص 75) قد قلّص مقاربة فيرمير إلى فكرةٍ نَصُّها' الغاية تبرر الوسيلة'، والتي يصفها باعتبارها نوعاً من أنواع القساوة الصارمة التي تستثني عاملي الجودة والدقة" (ص 72). ومن خلال فحصي لكتابه [مقاربات في الترجمة] -وهذه ترجمتي الخاصة لعنوان هذا الكتاب كما أشرت سابقاً في مُقَدّمةِ البحث -وجدت انّه أكثر ميلاً إلى توجهات يوجين نايدا النظرية التي تؤمن بأن

"الترجمة تواصل" على خلاف ما يؤمن به نعوم تشومسكي العالم اللغوي الشهير الذي يرى أنّ اللغة في الأساس ليست تواصلية وأنّ التعبيراتِ تُستخدم بمعانيها اللغويةِ الضيقةِ دونما اعتبارٍ لمقاصدِ المتلفّظِ بها وعلاقتها بالمتلقي. وقد تعرّض له نيومارك بنقد لاذع فيما يتعلق بآرائه في الترجمة. وأراء تشومسكي في الترجمة لا تعدو كونها ملاحظاتٍ عند المتخصصين رغم أهميتها على مستوى نظريات الترجمة لغوياً. ويوجين نايدا هو العالم اللغوي الأمريكي الشهير الذي تُوفي في آب (أغسطس) 2011.

ومن المراجع المهمة التي تعزز الرؤية النقدية في دراستنا الحالية على مستوى التحليل والفرضية؛ بل وتسهم إسهاماً مباشراً في تعزيز الوصول إلى نتائج مهمة، كتاب جوليان هاوس بعنوان [تقييم جودة الترجمة: إعادة نظر في النموذج]، نشر في عام 1997، وأصبح كتاباً رقمياً على أرشيف شبكة المعلومات الدولية بدعم من مؤسسة كالي-أوستن في 2017. هذا الكتاب لا يغفل عن ذكر رؤى نيومارك التواصلية؛ بل ويبرز فيه عنصر المقارنة بين هاوس ونيومارك بصورة ملفتةٍ تجعل منه مصدراً محورياً لدراستنا هذه. أتت جوليان هاوس (1977) على ذكر نيومارك مراتٍ عديدةٍ تكشف فيها عن التقارب بين تصوراتها الصريحة-الضمنية وتصوراته هو الدلالية-التواصلية. ومن الجدير بالذكر هنا أن نيومارك نفسه يعترف بوضوح في ثنايا كتابه قيد الدراسة هذه بهذا التطابق بين فكر جوليان هاوس وفكره هو فيما يتعلق بدلالة المقاربتين رغم اختلافِهما في استخدام المصطلحات المعبّرة عن ذلك. ومن الجدير بالذكر أنّ هاوس (2016) نشرت حديثاً كتاباً آخرَ بعنوان [الترجمة تواصل بين اللغات والثقافات]. ويثيرُ اهتمامنا على نفس الصعيد النظري أنّ باسل حاتم (1997) كان قد نشر كتاباً يوازيه تقريباً في عنوانه [الترجمة بين الثقافات]. وكلا العنوانين يعكسان عمقَ تأثيرِ الرؤية التواصلية لنيومارك على معاصريه حتى بعد وفاته في 2011. وممّا لاحظناه هو أن هاوس (2015) نشرت مؤخراً تحديثاً لنموذجها في تقييم جودة الترجمة بالإشارة إلى كتابين سابقين منشورين في ذات الموضوع ظَهَرا في 1977 و1997، وهذا التحديث ظهر على شكل كتابٍ نشرته في 2015 بعنوان [تقييم جودة الترجمة: الماضي والحاضر] ولم تتطرق فيه لتصورات نيومارك التواصلية. ومن المرجّح أنّ ذلك عودة منها إلى ترسيخ قناعات سابقة لها تَنظُرُ إلى الترجمة بوصفها ظاهرةً لغويةً نصيةً في الأساس، والتواصلية بالنسبة لها بُعدٌ بيني.

وهناك على الطرف الآخر من الدارسين من يجابه نيومارك معترضاً فيقول إنّ الترجمةَ التواصليةَ هي ترجمةٌ دلاليةٌ، والدلالية هي ترجمة تواصلية ولا مجال للتمييز بين المقاربتين أو الطريقتين، وعليه يرد نيومارك (1981) القول فيقول: " لا أعتقد أنّ هذا ممكناً. فهناك تعارضٌ وتناقض، وفي أحسن الأحوال تداخل بين المعنى والرسالة، إن كان السعي إلى تحصيل كل منهما متساوياً" (ص 51). وهذا ما يؤكده بيتر نيومارك في كتابه [المرشد في الترجمة] الذي ترجمه الدكتور حسن غزالة (2006) كاملا إلى العربية بعنوان الجامع في الترجمة، وهو ما أشار إليه أيضاً مينغيو ودونغ (2015، ص271) في ورقة علمية لهما بعنوان ["تحليل مختصر للترجمة الدلالية والترجمة التواصلية"].

وممن تعامل مع فكر نيومارك التواصلي الأستاذ الأكاديمي الشهير جيرمي مونداي (2016) في كتابه [التعريف بدراسات الترجمة: نظريات وتطبيقات] والذي يذكر فيه أنّ الوصف الذي قدمه نيومارك في عرضه للترجمة التواصلية يشبه مفهوم التكافؤ الدينامي الذي جاء به نايدا فيما يتعلق بالأثر الذي يحاول خلقه في متلقي النص الهدف. وهذه الأفكار تُشكّل قاعدةً مهمةً لدراستنا لنصل إلى حقيقةِ أصالةِ الرؤيةِ التواصليةِ لنيومارك.

وهنا لابد أن أشير بوضوح إلى لورانس فينوتي (1995) صاحبِ استراتيجية التوطين والتغريب في الترجمة، فهو في كتابه الشهير بعنوان: [غياب المترجم: تاريخ الترجمة] يعترف بوضوح أنّ مفهوم التوطين عنده ليس ببعيد عن مفهوم التكافؤ الدينامي

لدى نايدا، وقد أفاض فينوتي في ذكر نايدا؛ بل وامتدحه مؤثراً وكاتباً غزيرَ الإنتاج وتعرَّض لنظرية التكافؤ لديه بينما لم يذكر نيومارك ولم يتعرض لشيء من فكره التواصلي بعكس توقعاتنا التي تفترض أن كتاباً يُقدِّم نفسه تاريخاً للترجمة لن يغفل عن ذكر نيومارك.

ولنا أن نُذكِّر هنا أنّ المصادرَ العربيةَ لكثيرٍ من الفكر النظري الحديث في حقل الترجمة تكاد لا تُذكر بسبب الاعتقاد السائد أن النظرية الترجمية ليست هي من يؤثر على واقع الترجمة وأنّ الواقع الترجمي بتطبيقاته هو من يغذي النظرية الترجمية. وإن كان هذا صحيحاً إلى حدٍ ما، تظل نظريات الترجمة مرجعاً مهماً لكثير من الباحثين والمتخصصين وأساتذة الجامعات وليست ببعيدة تماماً من النشاط الترجمي كما يتصوره الكثيرون. ومن خلال اطلاعنا الفاحص على بعض أفكار يوسف بكّار(2016) من كتابه في محراب الترجمة وجدناه مترجماً عربياً حاذقاً خَبُر الترجمة بين الفارسية والعربية متبنياً الرؤية التواصلية، ويستخدم نفس المصطلحات الذي استخدمتها هاوس في كتابها المرتبط بهذه الدراسة؛ بل وجَمَع بين تسمية نيومارك وتسمية هاوس بطريقةٍ ذكيةٍ تجعل منهما كُلاً متكاملاً لا جزئين مفترقين. وهذا الإدراك النظري لمترجم يحترف الترجمة دليل إثبات لنا على أهمية البعد النظري التواصلي على المستوى العملي والنشاط الترجمي.

ومن ضمن المصادر العربية التي تتحدث عن تصورات نيومارك التواصلية كتاب نظرية الترجمة الحديثة للأستاذ الجامعي القدير والمترجم الشهير محمد عناني(2003) رحمه الله، والذي يخصص فصلاً كاملاً بعنوان "نظريات المعنى في الترجمة" في ذات الكتاب المذكور، وفيه تفصيل واسع لنظرية نيومارك التواصلية ويقارنها مع مفاهيم نايدا ويؤكد على أن نيومارك في ظل الفجوة القائمة بين أهمية اللغة المصدر واللغة الهدف، قد ضيق الفجوة باستحداثه لمصطلحين جديدين.

وهذا الجهد النيوماركي يُعزِّزُ إظهاره بالإنجليزية الأستاذ العربي الجامعي عبد الباقي الصافي (2011) في كتابه الذي ترجمَته [نظريات الترجمة واستراتيجيات وقضايا نظرية أساسية]، وكنا نتمنى أن يحظى المستفيد العربي بأفكاره باللغة العربية أو على الأقل نراه مترجَما إليها. وهو يشير إلى نظرية نيومارك بصفتها جزءا من النظريات اللسانية وأن تصنيفه الثنائي للترجمة إلى دلالية وتواصلية يشبه إلى حد ما التكافؤ الشكلي والدينامي لدى نايدا. وستفيد الدراسة هذه من أفكاره في تعزيز رؤية هذه الدراسة المرتبطة بأهمية الترجمة التواصلية في حقل الدراسات الترجمية الحالية والسابقة.

## 4. النقاش والتحليل النقدي

### 1.4. تعريف الترجمة ومفهوم النظرية الترجمية لدى نيومارك

قبل البدء بعرض مفهوم نيومارك الخاص بالرؤية التواصلية في الترجمة سأعرض وبإيجاز مفهومَ الترجمةِ عند بعض المنظرين في الحقل لتتضح الرؤية بالمقارنة، ومن ثمّ مفهومَ النظرية الترجمية لدى نيومارك.

يرى كل من فيناي وداربلنِت (1985) أنّ الترجمةَ نقلٌ للعناصر اللُّغوية من اللغة (أ) إلى اللغة (ب) من أجل التعبير عن الواقع نفسه. وهناك من يَنظُرُ إلى الترجمة بوصفها نشاطاً فنياً منهم سيليسكوفيتش (1984) والتي تقول إنّ الترجمةَ نقلٌ لرسالةِ نصٍ إلى لغةٍ أخرى لا نقلٌ للغته. وهذا برأينا يوافق ما عليه نيومارك من تركيزه على قوة الرسالة في رؤيته التواصلية. وتؤكد ذلك بقولها إنّ الترجمةَ هي عمليةُ اتصالٍ وليست عمليةً لغوية. وهذا التعريف بحسب سيليسكوفيتش يعزّز وجودَ المترجمِ وظهورِه جزءاً مهماً من عمليةِ التواصلِ وبناءِ العلاقات (ألبير، 2007، ص 256)، وهو ما يُؤكده دوغلاس روبنسون

(2012) وهو يقول: "من الضروري للمترجمين أن يرسخوا أنفسهم في المجتمعات التي تستخدم هذه القنوات في مجتمعين لغويين على الأقل -وهذا هو الفرقُ الرئيسُ بين المترجمين ومعظمِ العاملين في مجال التواصل " (ص 153).

ويقدِّم كاتفورد (1970، ص 39) تعريفاً يركِّز على الطابع النصي للترجمة مؤكداً أنّ الترجمة تبديل لمادة نصية في لغة المصدر بمادة نصية مساويةٍ لها في اللغة الهدف. أما هاوس (1977، ص 29) فتسلط الضوءَ على الجانب الدلالي في الترجمة كونها عمليةَ إحلالِ نصٍ دلالي في اللغة الهدف محلّ نصٍ دلاليٍ في اللغة المصدر. وهناك آخرون يعرفون الترجمة تعريفاً تواصلياً مشيرين إلى تأثيراتِ السياق الثقافي: فنايدا وتابر (1986، ص 29) يؤكدان على أنّ الترجمةَ عمليةُ إعادةِ إنتاج نص من خلالِ تكافؤِ الرسالةِ الطبيعي والتام في اللغتين المنقول منها وإليها. وحاتم وميسون (1995، ص 13) يؤكدان أنّ الترجمةَ عمليةُ اتصال تحدث في إطار سياق اجتماعي، ويشاركهما هذا التأكيد هيرماز (1991، ص160) وهو يصفها بأنّها ممارسةٌ اتصاليةٌ ونمطٌ من أنماط السلوك الاجتماعي تُعنى بالتفاعل الاجتماعي، وفي نفس الاتجاه تاوري(1980) وسنيل هورنبي (1988) وهوسون ومارتين (1991). كل هؤلاء يَعدُّون الترجمةَ معادلةً ثقافية. وأما ريس وفيرمير (1996) وكريستين نورد (1991) فيسلطون الضوء على الغاية من الترجمة وهي أنها عملية اتصال مبنيةٌ أساساً على وظيفتها (ألبير، 2007، ص ص 45-50). وهناك الكثير من التعريفات الأخرى التي تعتبر الترجمة خطوات ومراحل، وأخرى تَعُدّها مرتبطةً بعمليات الفهم والصياغة والتحويل والتفسير والتأويل. فأين يا ترى يقف نيومارك من كل هذه التعريفات للترجمة؟ وما هو تعريفه للنظرية الترجمية؟

يعترف نيومارك (1981) بدءاً من أول سطور مقدَّمته لكتابه [مقاربات في الترجمة] بأنّه تأثر بنايدا ومدرسة ليبزيج وكان أوّلُ عملٍ ينشره في مجال نظرية الترجمة ورقةَ عملٍ نشرها في 1957 في مجلة التربية وكان هذا أول اهتمامٍ له بالنظريةِ الترجميةِ حدّ قوله (ص 5). وهو يَعدُّ النظريةَ الترجمية مقتطعةً من اللسانيات المقارنة أو علم اللغويات وهي في الأساس مظهرٌ من مظاهر علم الدلالة ويؤكد أيضاً أنّ علمَ اللغويات الاجتماعي حقلٌ له أهميته ووزنه في النظرية الترجمية وأنّ علمَ الإشارات عاملٌ جوهريٌ في نظرية الترجمة. وهذه النظرة تتقاطع مع ما يؤكده نايدا (1991) بقوله أنه: "يجب النظرُ إلى اللغة ليس بوصفها بنيةً معرفية؛ بل مجموعةً مشتَرَكةً من العادات التي تستخدم الصوت للتواصل. وقد تطورت هذه المجموعة من العادات داخل المجتمع، ويتناقلها المجتمع، ويتم تعلمها في إطار اجتماعي" (ص 10).

والترجمة عند نيومارك (1981) "صنعةٌ تتأسس على محاولة استبدال رسالة مكتوبة أو بيان أو كليهما معاً في لغة ما بنفس الرسالة أو البيان أو كليهما معا في لغة أخرى" (ص 7). وبما أنها محاولة فهذا يشي بأنها محفوفة بالجدل والنقاش والتوتر المستمر وهذا بالفعل ما يشعر به نيومارك ويؤكده في ذات السياق. والمتأمل في كتابه [*مقاربات في الترجمة*] يجد نيومارك يَسِمُ فصلاً كاملاً بـ ["نظرية الترجمة وصنعتها"] وهو بهذا يكشف عن أنّ النظريةَ الترجميةَ ليست سوى مقارباتٍ مبنيةٍ على تجاربَ عمليةٍ تخص الترجمةَ بوصفها صنعةً وحرفة. فإذا كانت صنعةً، هل ستعتمد منهجية معيارية أم إبداعية؟!ولكن قبل ذلك، كيف ينظر نيومارك إلى طبيعةِ النظريةِ الترجمية وقد أضحتْ حقلَ اختصاصٍ فرض نفسَه في الواقع العلمي والعملي.

يقول نيومارك (1981) عنها إنّها تسميةٌ خاطئة أو تسميةٌ شاملة، ويرفض التسميات التي تجسدها علماً أو نظريةً ويفضل النظر إليها على أنها كَمٌّ معرفيٌ علينا أن نحصل عليه أو أنه متوفر لدينا عن عملية الترجمة. فالنظريةُ الترجمية اهتمامها الأوّل يكمن في تحديدِ الطرق المناسبة لترجمة أكبر كمية من النصوص بأنماطها وأصنافها المختلفة. وهي بهذا تقدم إطاراً من المبادئ والتلميحات والقواعد المحدودة لترجمة النصوص ونقد الترجمات. وهي أخيراً تُبَصِّرنا بالعلاقة بين الفكرة والمعنى واللغة،

وبمظاهر اللغة والسلوك العالمية والثقافية والفردية، وبفهم الثقافات، وبتفسير النصوصِ التي تحتاج الى إيضاح أو حتى ملحقات عن طريق الترجمة (ص 19). وهذه الرؤية النظرية في الواقع تنسجم تماماً مع نظرته للترجمة على أنّها صنعة وحرفة (انظر المحور الأخير من نقاشنا هذا لترَ أين تقف هذه الصنعة في الجدلية السائدة القائمة على ثنائيةِ العلم والفن).

ربما أراد نيومارك أن يكون أكثر واقعيةً في تصوراته عن نظرية الترجمة. وهو في هذا الإطار يضع نظريتَه التواصليةَ في ثنائيةٍ ربما قللّت كثيراً من جدلية الصراع القائم والمتجدد بين توجهاتِ المترجمين العملية في معالجة النصوص بأنواعها وبين مقارباتٍ نظريةٍ تحاول الخروجَ إلى رؤيةٍ أقدرَ على التعايشِ مع هذه التوجهات. وبما أنّ النظرية الترجمية-بما فيها مقاربة نيومارك -تبني في الغالب على ثنائياتٍ جدليةٍ وانقسامات متفاوتة في أطروحاتها فسأقدم هنا جدولاً يعكس صورةً موجزةً لتلك الثنائياتِ اعتماداً على ما قدّمه بيم (2023، ص 32) في كتابه [*استكشاف نظريات الترجمة*] والتي يصفها بأنّها استراتيجياتٌ ثنائيةٌ ليست متطابقةً دائماً؛ بل وفيها مساحةٌ تسمح للتداخل بينها غالباً:

| اسم المنظِّر | سيسيرو | شليرماتشر | نايدا | نيومارك | ليفي | هاوس | فينوتي | تاوري |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| **الاستراتيجية الأولى** | حرفية | تغريب | شكلية | دلالية | حقيقية (مقاومة للوهم) | علنية (صريحة) | مقاومة | وافية (كافية) |
| **الاستراتيجية الثانية** | خطابية | توطين | دينامية (حركية) | تواصلية | وهمية | خفية (ضمنية) | سلسة | ملائمة (مقبولة) |

هذا الجدول يوحي بأنّ نظرية الترجمة ظهرت منذ البداية على هيئة مقارباتٍ لا تبتعد عن الأصل العملي القديم المتمثلِ بعملية الترجمة نفسِها بنوعيها: الحرفي المبني على نقل كلمة مقابل كلمة، والدلالي المبني على نقل المعنى بعيداً عن قيود شكلانية المبنى. ومما لفت نظرنا أنّ نيومارك (1981) في الجزء الأول الذي يتحدث فيه عن ثنائيته وقبل أن يبدأ شرحه شَرَع بسرد الفروق بين نوعين من الترجمة بصورة تعكس التباين بين النوعين اقتباساً من كتاب له وزْنُه التاريخي في النظرية الترجمية الغربية وهو [فن الترجمة] لـ تي. إتش. سافوري (1968). منها على سبيل المثال: ["الترجمة ينبغي أن تقدم كلمات النص الأصلي/ الترجمة ينبغي أن تقدم أفكار النص الأصلي؛ الترجمة ينبغي أن تُقرأ كما يُقرأُ النصُ الأصل/ الترجمة ينبغي أن تُقرأ ترجمةً أي نصاً هدفاً"] (ص38). كأنّ نيومارك يريد أن يعكس لقارئيه وعيَه التّامَ بمنهجيةِ التقابل تاريخياً، مذكراً إيّاهم بأنّ الثنائيات ليست عيباً في النظرية الترجمية؛ بل جهداً مستداماً يرتبط بواقعِ الترجمةِ منذ زمنٍ بعيد. ولإدراك المفهوم النيوماركي بصورةٍ أوضحَ سيتحتم علينا التركيزُ على إظهار ثنائيّتيه التواصلية والدلالية على هيئة تصورات تقابليّة شارحة تعكس عمق هذا المفهوم النظري وأهمية المرجع قيد الدراسة في إظهارها وإبراز معالمها.

### 2.4. الثنائية التواصلية والدلالية

أفرد نيومارك (1981) لهذه الثنائية النظرية قسمين في الجزء الأول بعنوان ["مظاهر نظرية الترجمة"] من كتابه [*مقاربات في الترجمة*] وتحت ذات التسميتين (ص 62). وثنائيته هذه يبرز فيها لفظ التواصلية سابقاً للفظ الدلالية وهذا يعكس ولا شك تأكيدَ نيومارك على رؤيته التواصلية وسَبْقَ أهميتها عملياً في ثنائيته. وهو يتحدث عنهما بأنّهما فكرتان تمثلان إسهامه الأساس في

النظرية الترجمية العامة. وهو يؤكد أن الفكرتين صِيغتا في مواجهة النظرية الأحادية التي ترى أنّ الترجمةَ ظاهرةٌ اجتماعيةٌ كاللّغة تماماً أو أنّها وسيلةُ تواصلٍ في جوهرها وكفى. وهذه هي تصوراته حول هاتين الفكرتين:

**التّصور الأوّل** (التأكيد على قوة الرسالة والأثر): الترجمة التواصلية تحاول أن تُحدِث في قرائها أثراً مقارباً قدر الإمكان للأثر الذي يحصل لقراء النص الأصلي، بينما تحاول الترجمة الدلالية تقديم المعنى السياقي الدقيق بالقدر الذي تسمح به البنى النحوية والدلالية للغة الثانية. وأما في الجانب النظري فإنّ هناك فروقاً واسعةً بين الطريقتين: فالترجمة التواصلية تخاطب فقط القارئ الثاني، الذي لا يتوقع صعوباتٍ أو غموضاً؛ بل يتوقع نقلاً وافراً للعناصر الأجنبية إلى ثقافته ولغته أيضاً حيث تقتضي الضرورة ذلك. وحتى إن كان الأمرُ كذلك فالمترجم هنا لايزال يتحتم عليه مراعاةَ شكلِ نصِ اللغة المنقول منها والعمل عليه إذ أنّه الأساسُ المادي الوحيد لعمله الترجمي. أمّا الترجمة الدلالية فتبقى حبيسةَ ثقافةِ النص الأصلي وتساعد القارئ فقط في إيحاءاتها إنْ كانت هذه الإيحاءات تؤّلف مجملَ الرسالةِ الإنسانية (الغير عرقية) للنص. ولعلّ الفرق الأساس بين الطريقتين هو أنّه إذا وُجِد تعارضٌ فالطريقة التواصلية يجب أنْ تؤكد على "قوة" الرسالة لا على محتواها. وهو-أي نيومارك - يوضح ذلك في ذات السياق بمثالٍ طريفٍ لجملة بالفرنسية تُتَرجَم تواصلياً بـ"خذ حذرك من الكلب" وهذه الترجمة هي ترجمة مُلزِمة، بينما إنْ تُرجِمت نفسُ الجملة دلالياً إلى "كلب يعض" أو " كلب متوحش" فهذه الترجمات ستعطي معلومات أكثر، إلا أنّها أقلُّ تأثيراً وفعّالية في سياقٍ عمليٍّ كهذا (نيومارك، 1981، ص 39). وهذا التوجه في فعل الترجمة التواصلية ينسجم مع ما يقوله كلٌّ مِن كاترينا رايس وهانس فيرمير(2014) في كتابهما [*نحو نظرية عامة للفعل الترجمي: شرح نظرية الهدف*] حيث يؤكدان على أنّ التكافؤَ التواصلي يتطلب من القارئ للنص الهدف أن يكون على دراية بمحتوى العناصر الفردية للنص وشكلها، وعلى دراية أيضا بالوظيفة التي تؤديها هذه العناصر وهذا في نظرهما هو أرفع متطلب يخص درجة التكافؤ (ص ص149، 173).

**التصور الثاني** (إجازة الحرفية وجواز التزامن): الترجمة الحرفية كلمةً بكلمةٍ في الترجمة التواصلية كما في الدلالية ليست فقط الأفضلَ بل تكون الطريقةَ الوحيدةَ الصحيحة للترجمة شريطة أن يتمّ تأمين الأثر المكافئ. ولا عذر في استخدام مرادفات غيرِ ضرورية، ناهيك عن الشروحات في أي نوع من أنواع الترجمة. وهذا يكشف أنّ نيومارك (1981) ليس ضدّ حرفية الترجمة في مقاربته التواصلية إنْ هي أظهرتْ "قوة" الرسالة واستطاعت تأمين الأثر المكافئ، على الرغم من أنه يُسلِّمُ جدلاً بأنّ الترجمة الدلالية دائماً في مكانةٍ أقلّ من الأصل لأنها تتضمن فقداناً للمعنى، والترجمة التواصلية في وضع أفضل بسبب مالها من القوة والوضوح وإنْ اعتراها فُقداناً للمحتوى (ص42). ومن خلال الأمثلة التي يستعرضها نجد أنّه يسعى إلى الحلول الوسطية التي تجيز للطريقتين التزامن "شريطة أن تكون رسالةُ النص المترجم ذاتَ طابعٍ عام وغيرَ مقيدةٍ ثقافياً في الزمن والمكان، هذا على افتراضِ أنّ قارئَ النص الهدف له من المعرفة والاهتمام مثل ما لقارئ النص الأصلي"(نيومارك، 1981، ص 40).

**التصور الثالث** (التأكيد على نوعية النص): إنْ كان النص معلوماتياً ولم يكن وصفياً، أو يعكسُ لغةً معيارية، أو كان معبراً عن أفعال الكلام فالترجمة لابد وأن تكون تواصليةً سواء وُجدَ هناك مكافئ معياري أم لم يوجد. وهذا التصور نابعٌ من افتراض أنّ وضعَ قارئِ النص الهدف هو نفسُ وضعِ قارئ النص الأصلي. (انظر محور النقاش أدناه، الذي نورد فيه أمثلة عملية تجسد هذا التصور بوضوح).

**التصور الرابع** (وسطية الرؤية في تحديد قياس التواصل): يعود نيومارك (1981) ليعدِّل ويوضِّح تصوراتِه السابقة فيقول: "إنّ الترجمة في مجملها يجب أن تكون بدرجة ما تواصليةً ودلاليةً، اجتماعيةً وفردية. وما الفرق بينهما إلا فرقاً تأكيدياً...لكنّ المعضلةَ الأكثر أهمية هي طبيعة الترجمة التواصلية البديهية -حقيقةَ أنّ نجاحها يمكن قياسُه فقط باستقصاء ردود فعل القراء الموجهة لهم (ص ص 62-63، 66)." نفهم من هذا التصور أنّ نيومارك يعود للتأكيد على أهمية الترجمة الدلالية في قياس نجاح التواصلية، وعلى أنّها ليست إجراءً جامداً، فهي باعتراف الجميع أكثرُ موضوعيةً من الترجمة التواصلية نظراً لأن كلمات النص الأصلي وجُمَلِه شكلٌ من أشكال الضّبط في فعلها وعملها.

**التصور الخامس** (التأكيد على معيار الدِّقة): يؤكد نيومارك (1981) أنّ معيارَ أيّ ترجمة سواءٌ أكانت تواصليةً أم دلاليةً هو قدرتُها على قياس الدِّقة وقدرتِها على إعادة إنتاجِ أعلى درجةٍ ممكنة من معنى النص الأصلي: فالرسالة هي لبُّ المعنى في الترجمة التواصلية بينما في الترجمة الدلالية لبُّ المعنى يكمن في مغزاه وقيمته الثابتة ودلاليّته. وتبقى الدِّقةُ في الترجمة الدلالية دائماً صائبةً وعدمُ الدقة فيها دائماً خطأ (ص 66-67).

هذه التصوراتُ الخمسة هي أساسُ النظرية النيوماركية في الترجمة كما فهمناها واستخلصناها من كتابه موضوع الدراسة، وهي تبني نفسها على منهج المقابلة، لا الافتراق، بين فكرتي التواصلية والدلالية؛ فهما في رأينا صنوان: فمقاربة نيومارك النّظرية بالنسبة لنا "ثنائية صنوانية" إذا جاز التعبير، وإن كنّا قد اختزلناها في تحليلنا إلى مصطلح "ثنائية" لمناسبة أسلوب الطّرح وفنِّياته. ولكن يبقى السؤال المهم: هل يعتقد نيومارك أنه الأسبقُ إلى هذه الثنائية، وهل يُدرك هو ذاته أنّ هناك من سَبَقَه في بعض هذه التصورات أو في الحديث عن بعض جزئياتها؟

### 3.4. تصورات نيومارك في ميزان السبق النظري

#### أولاً: في ميزان نيومارك نفسِه

يتحدث نيومارك (1981) بأريحية بالغة عن الفكرة التواصلية وحضورها في أعمال من سبقوه إليها، ولكن بشيء من الحسم لصالحه. يشير نيومارك أولاً إلى نظرية ديلر وكورنيلياس (1978) المبنية على ثنائية الترجمة الابتدائية (وهي ترجمة تؤسس للتواصل بين كاتب النص المصدر مع قارئ النص الهدف) والترجمة الثانوية (وهي ترجمة تُنبئ قارئ النّص الهدف بتواصل بين كاتب النص المصدر وقارئه). ويعترف نيومارك بأن هذه النظرية تتطابق في مصطلحاتها العامّة مع نظريته التواصلية الدلالية وأنّ التسمياتِ وتعاريفِها منظَّمة، إلا أنّ صاحبي النّظرية لا يُحلِّلان الفرقَ بين الترجمتين؛ أضف إلى ذلك أنّهما يَعُدّان الترجمةَ الأدبية ترجمةً ثانوية (ص 67)، وهذا مالا يقتنع به نيومارك.

ويشير ثانياً إلى نظرية هاوس (1977) المبنية على ثنائية الترجمة الصريحة (وهي ترجمة مرتبطة بثقافة النص الأصلي) والترجمة الضمنية (وهي ترجمة متحررة من ثقافة النص الأصلي). وهذه النظرية مبنية على التكافؤ الدينامي بمعنى الوظيفة المكافئة والتي لا تتحققُ إلا في الترجمة الضمنية بحسب ما تراه هاوس. ولكن نيومارك يجد ما يعترض عليه بالرّغم من هذا التميز. إنه يقول إنّ هاوس رغم تميزها لاتزال تؤكد على أنّ الترجمة الضمنية تتطلب أيضاً استعمالَ "مُرشِّحٍ ثقافي" وأنها -أي هاوس-لا تطوِّر هذا التميز. وكان قد أشار إلى هذا القصور الذي اعترى نظريةَ هاوس ومنهجها النظري في موضع آخر من كتابه، بقوله إنها لم تُميِّز أسلوبياً -لسوء الحظ -بين هاذين النوعين من الترجمة كما يقول، وأنّها أهملتْ في "التحليل النصي"

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
المجلد 4، العدد 12، 2025
Vol: 4 / N°: 12 (2025)
ISSN: 2750-6142

أبعاداً مهمة، منها درجة الشمول والدرجة العاطفية. (نيومارك، 1981، ص ص 52،68،67). ولكنّه في الواقع يسلم بوجود بعض التطابق بين ثنائيّتِها وثنائيّته -الصريحة مقابل الدلالية والضمنية مقابل التواصلية.

وأما يوجين نايدا فهو عند نيومارك من رواد الفكر النظري الترجمي الذي أصبحت أعمالُه المنشورة في عامي1964 و1969 مهيمنةً على النظرية الترجمية، ويعزو نيومارك (1981) هذا إلى غزارة المعرفة التي اكتسبها نايدا بخبرته لغوياً، وبترجماته للإنجيل. ويعترف له نيومارك بأنه ناقش الفروقَ بين الترجمة اللغوية والترجمة الثقافية، وبأنه أيضاً ميّز بين التكافؤ الشكلي والتكافؤ الديناميِ. ولكنّ نيومارك يأخذ على ثنائية نايدا أنّها تنحاز انحيازا كبيراً إلى الخصائص الشّكلية للُّغة (ص9).

**ثانياً: في ميزان الآخرين من أهل الاختصاص**

إذا كان نيومارك قد أخذ على نايدا أنّ نظريّتَه بثنائيّتها الشكليةِ والدينامية قد انحازت إلى الخصائص الشكلية للغة، فقد وجدنا أنّ نايدا (1964) كان أسبق من نيومارك إلى مفهوم التواصل بوصفه مفهوماً ترجمياً؛ بل وخصّص له فصلاً كاملاً بعنوان ["البعد الدينامي في التواصل"] في كتابه [نحو علم الترجمة]. وفيه يناقش نايدا باستفاضةٍ أهميةَ نقلِ الرسالةِ إلى المتلقي نقلاً تواصلياً تتوازنُ فيه شحنات التواصل على مستوى الأسلوب والمحتوى. ولو أنه كما قال نيومارك لم يخرج في رؤيته هذه عن الخصائص الشكلية للغة؛ إلا أنّه في الحقيقة -وهذه نظرتنا-يدرك البعدَ الدينامي الوظيفي للترجمة إدراكاً مثيراً للدهشة. في أوّل سطور فصلِه المذكورِ يقول نايدا (1964): "إنّ أكثر ما يُكوّنُ اللغةَ هي معاني الرموز أو مجموعة من الرموز، لأنّها في الأساس قانونٌ فاعلٌ أو -بعبارات أخرى-قانونٌ يعملُ لغرضٍ مُعيّن أو أغراضٍ معينة، وعليه يتعيّن علينا تحليلُ نقلِ أيّ رسالة بالنظر إلى البعد الدينامي لها (ص120)." وأجد نفسي -باحثاً ودارساً-مقتنعاً بأنّ نيومارك في نظريته التواصلية قد استلهم الكثيرَ من أفكار نايدا وتصوراته رغم الفرق الواضح بين ما يسعى لتأكيده كلٌ منهما. وها هو نايدا (1991) في مقالة له يؤكد أنّ وجودَ العديد من النظريات الترجمية ما هو إلا بسبب التواصل المستمر بين اللغات منذ فجر التاريخ الإنساني وهو يؤكد على أربع منظورات مهمة لهذه التواصل تُكمّل بعضَها بعضاً؛ منها المنظور التواصلي، ويوصي بأنّ: "أي مقاربة في الترجمة مبنية على نظرية التواصل يتعين أن تُعير اهتماماً كبيراً بالخصائص التي تتعدى اللغةَ وتلك التي ترافقُها لأي رسالة كانت شفهية أم مكتوبة"(ص25). ومن الجدير بالذِّكر أنّه يُشير إلى تصوّراتِ رايس (1972) ومونين (1963) وجاكبسون (1960) وآخرين، ولكن، يا للغرابة، ليس بينهم نيومارك. ولا أنسى هنا أن أؤكد ما أكده نايدا (1982) نفسه حين قال: "كل خاصية من خصائص اللغة ابتداءً من البنية الكلية للخطاب إلى أصوات الكلمات الفردية فيها تقع ضمن مكونات الأسلوب؛ غير أنّ تعدادَ الخصائص الأسلوبية بحدّ ذاتها ليس مهماً إلا بقْدرِ محاولةِ تحديدِ وظائفها بالنظر إلى كفاءة التواصل وتأثيره"(ص 134). وعبارة كفاءة التواصل وتأثيره هنا ليست سوى صورةٍ سابقةٍ لما أسماه نيومارك بـ"قوّة الرسالة التواصلية". ولعل الفكرة كلها يكررها نيومارك (1988) بقوله "إن وحدات اللغة كلها في لحظات مختلفة أو حتى متزامنة يمكن استخدامها وحداتٍ للترجمة أثناء عملية النشاط الترجمي" (ص ص 66-67). وما أثار الغرابة عندي أنّ نايدا رغم معاصرته لنيومارك لم يتعرض لتصورات نيومارك في نظرية الترجمة في أي من كتبه الرائدة في هذا المجال رغم أنه هو من قدم لكتاب نيومارك [مقاربات في الترجمة] في وقت ما.

ويدرك حاتم ومونداي (2004) أهمية تصورات نيومارك ويبنيان عليها الكثير من الممارسات التطبيقية الترجمية الواردةِ في كتابهما بعنوان [الترجمة: كتاب مرجعي متقدم]. ومن المثير حقاً أن ترى كتاباً آخر لحاتم ولكن هذه المرة مع مايسون تَبرُزُ فيه الرؤيةُ التواصليةُ مباشرة من عنوانه **Translator as Communicator** [المترجم ناقلاً تواصلياً]. وترجمتي هذه دلاليةً تضيف

صفة التواصل للناقل انطلاقاً من مغزى الكتاب الذي يوضحه المؤلفان (1997) في مقدمتهما له إذ يصرحان بأنهما يحاولان: "الوصول إلى كُنه ما يجري في النصوص بصفتها سجلّات لأفعال تواصلية"(ص 9). ولنا أن نترجمه ترجمة تواصلية بـ [المترجم وسيطاً] وذلك اعتداداً بإدراك المترجمين للتواصل ووعيهم بدورهم الاجتماعي والثقافي بوصفهم وسطاء يحملون رسائل لقرّاء جدد. ويتحدث المؤلفان عن الثنائيات القديمة السائدة مثل الترجمة الحرفية مقابل الحرة، وترجمة الشكل مقابل المحتوى، وهنا يؤكدان بأنّ ثنائيات نايدا ونيومارك هما أكثر ارتباطاً بما يسعى المترجمون لتحقيقه في واقع الترجمة.

أمّا هاوس (2016)، فكما أنّ نيومارك تعرّض لتصورِها عن الترجمة الضمنية والصريحة كما سبق وأشرنا إلى ذلك، فقد أشارت إليه هي لاحقاً بعد وفاته واعترفت له كما اعترفت لنفسها في تطوّرِ ما أسمته بالترجمة البيئية بوصفها مقاربةً ترجميةً نشأت في الصين في 2011 تحت هذه التسمية (الجزء 1، القسم 3). ما يهمنا هنا هو أنها تعترف لنيومارك ونايدا في ذات السياق في سبق مساهمتهما النظرية في هذه المقاربة من خلال نظرياتهما التي أعربت عن حساسيتها للسياق وأهميته في صياغة مفهوم الترجمة بين عامي 1960 و1970. وذكرت في ذات السياق مساهمتها هي أيضاً باعتبار أنّ منهجها النظري كان أيضاً ذا حساسيةٍ سياقية وتأثر بنظرية هاليداي الوظيفية المنهجية. وأشارت في نفس الوقت إلى ما يسمى بـ "المرشِّح الثقافي" الذي استخدمته والذي شكّلَ نقطةً اعترض عليها نيومارك كما أوردنا ذلك سابقاً.

وتأخذ تصورات نيومارك حيزاً لا يستهان به في أعمال كاتارينا ريس وهانس فيرمير (2014) إذ يؤكدان بقولهما: " لا يمكننا الحديث عن التكافؤ إلا إذا كان هذان النصان يحققان وظائفَ ذات قيمةٍ متساوية ضمن الأحداث التواصلية الخاصّة بالثقافة التي يتمُّ استخدامُهما فيها"(ص 130). ومن الجدير بالذكر أن كتاب نيومارك [مقاربات في الترجمة] له وزنه في توثيقات ريس وفيرمير لكثيرٍ من أراء نيومارك وهو مُضمّنٌ في قائمةِ المراجع وله حضورٌ واضحٌ في أعمالهما. ولعلّ استخدامَهما لمصطلحٍ مثل "الوظيفة التواصلية" (ص32) عوضاً عن الغرضية أو التكافؤ الدينامي أو حتى السياقي، وأخرى مثل "التفاعل التواصلي" و"القيمة التواصلية للإشارات اللغوية" (ص 139) لدليلٌ واضحٌ على تأثرهما بالمصطلح النظري النيوماركي؛ وما لا يُعبّرُ عنه بالتصريح قد يُعبّرُ عنه بالذِّكرِ ولو بصورة التقابل، أو حتى التفاوت والتناقض أحياناً؛ بل وفوق هذا يتحدثان عن أنّ اختيارَ المترجِم لنوعِ "الترجمة التواصلية سيجعل الهدفَ من عمليةِ الترجمة هو تحقيق التكافؤ بين النص المصدر والنص الهدف" (ص 139). إلا أن هذا التأثر وإن كان حاضراً إلا أنّهما لا يتفقان مع نيومارك في طبيعة فهمه للنصوص وأنواعها ووظائفها، وهما يُسَجلان اعتراضَهما هذا ويستشهدان بالتفاوت الحاصل بين رؤية نيومارك ورؤيتهما فيما يتعلق بوظيفة النص القانوني (ص 143).

وإدراكاً منه لطبيعة النصوص ووظائفها يشير عبد الباقي الصافي (2011) بِدَورِه إلى رؤية نيومارك بخصوص مفهوم نظرية الترجمة وأنها معنيةٌ أساساً بحسب نيومارك إلى تحديد طرق ومنهجيات ترجمية مناسبة لأكبر عدد ممكن من النصوص بأنواعها. ويتحدث الصافي عن التصنيف الثنائي النيوماركي للترجمة إلى دلالية وتواصلية بوصفه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنّظريات اللغوية في الترجمة وهو يؤمن بأنّ هذا التصنيف لا يبتعد كثيراً عن ثنائية نايدا في التكافؤ الشكلي والدينامي. وهذه القناعة ربما تكررت وظهرت ربما بصور مختلفة عند كثير من الباحثين. فها هو موندای (2016) يؤكد أيضاً على حقيقةِ أنّ الترجمةَ التواصليةَ عند نيومارك تشبه التكافؤ الدينامي عند نايدا في الأثر الذي تتركه في متلقي النص الهدف، بينما الترجمة الدلالية

عند نيومارك لها أوجهُ تشابهٍ مع التكافؤ الشكلي عند نايدا. ومن الأهمية بمكان أنْ نُوردَ كلماتِه بعينها فيما يتعلق بأسبقية الرؤية والتصوّر بين الاثنين. يقول موندايِ:

وعلى الرغم من الجدل الحادِّ الذي أثارته إنجازاتُ نايدا، إلا أنّ منهجَه اللُّغويَّ المنظَّم في الترجمة كان له كثيرُ التأثيرِ على العديد من علماء الترجمة اللاحقين والبارزين في هذا المجال، ومن بينهم بيتر نيومارك في المملكة المتحدة وفيرنر كولر في ألمانيا. (ص 71)

ومن خلال مطالعاتنا لكثيرٍ من الكتبِ الرائدةِ في حقل دراسات الترجمة وجدنا أنّه ليس مِن عملٍ تقريباً إلا وفي مراجِعِه عملاً واحداً على الأقل من أعمال نايدا. وفي عمل موندايِ هذا يَظهرُ نايدا ونيومارك كفرسي رهانٍ فيما يتعلق بتصوراتهم النظرية والتطبيقية، ومن أجمل ما قدّمه موندايِ (2016) لطلاب الترجمة وباحثيها جدولاً مختصراً على شكل نقاط يوضح بالتناظر كل الفروق تقريباً بين الترجمة التواصلية والترجمة الدلالية (ص 72)، تجسيداً لما قدمه نيومارك في كتابه [مقاربات في الترجمة]. وهذه الفروق لم نغفل عن ذكرها في التصورات السابق ذكرها؛ بل وأتيناها بشيء من التفصيل. ولكنْ من الغرابة بمكان أنْ نجدَ على الطرف الآخر باحثين يَنشُدون نظريات هجينة تحاول أن تجمع بين النقائض مرّة أخرى، كمحاولة الجمع بين التكييف الثقافي للنص عند نايدا بوصفه الأبرز في ثنائيته ودقة الدلالة عند نيومارك بوصفها أولوية ثابتة عنده: فهذا روي وانغ (2023) في ورقةِ عملٍ لهُ يقارنُ فيها بين رؤيتي نيومارك ونايدا يوصي بالجمع بين نظريتهما سعياً للوصول إلى منهجية ترجمية متعددة الجوانب (ص 112). وهذا-لعمري-لا يروق لنا وقد أدركنا أنّ نيومارك ما جاء بثنائيّته-ذات المنهجية الترجمية متعددة الجوانب-إلا لردمِ الهوة وسدّ الفجوة بين الثنائيات المتكاثرة في حقلِ دراسات الترجمة والتقريب بينها. وربما وافقت رؤيتنا هذه ما يراه أندرو تشيسترمان (2017) وهو يقول: "لا يبدو أنّ لدينا حتى الآن تصنيفًا منهجيًا مقبولًا بشكل عام يكون أكثر تطورًا من الأنظمة الثنائية البسيطة مثل الترجمة الحرفية مقابل الترجمة الحرة، والدلالية مقابل الترجمة التواصلية، والصريحة مقابل الترجمة الضمنية، والوثائقية مقابل الترجمة الوسائطية" (ص100).

ومن المثير للدهشة أن ظهور الثنائيات النظرية وتراكمها الزمني قد أنتج لنا ثنائيات من الصراع الواقعي بين نظريّات المُنظِّرين أنفسهم. فهذا بيم (2023) -والذي يقدم شواهد كثيرة من أفكار نيومارك التطبيقية الواردة في كتاب الأخير بعنوان [المرشد في الترجمة] -يستشهدُ بملاحظاتِ نيومارك عن نظرية الغرض الشهيرة التي سعت بدورها إلى فرض مقاربتها الوظيفية؛ وهي ملاحظات ينتقد فيها نيومارك نظرية فيرمير بقوله إنّها تفتقر إلى عوامل الجودة والدقة (ص 72) وإنّها مجرد نظرية يمكن اختزالها بـ"الغاية تبرر الوسيلة"(ص 70).

ولا ننسى أن ننوه في هذا المقام إلى أنّ نيومارك لا يرفض نظرية الغرض والترجمة الوظيفية إلا في حدود إلغائها لكلمات النص الأصلي ودلالاتها اللغوية التي تُعدُّ تشويهاً للبعد اللُّغوي التواصلي وخاصّة في النصوص النافذة مثل النصوص الأدبية والدينية والفلسفية. ولنا أنْ نذكرَ هنا أنّه عندما تتضاربُ توجهاتُ المنظِّرين في حقل الترجمة سواء اللُّغوية أو الثقافية أو حتى السياسية نجد أنّ هذا ينعكس على مفردات دراساتهم الفكرية مما قد يؤدي إلى التقليل من شأن نظريةٍ من نظرياتِ أحدِهم أو حتى عدم ذكرها. ومثالاً لهذا التضارب الفكري الاستراتيجي هو مواقف لورانس فينوتي من الترجمة بِعدِّها على قدم المساواة أخذاً وعطاءً بين ثقافات ولغات مهيمنة وأخرى خاضعة. هذا التوجه يأخذ بالمترجم إلى تعزيز وجوده مترجماً حاضراً ينقل ثقافةَ المصدر وأسلوبَ الكاتبِ ويُعزّز استراتيجية التغريبِ لا التقريب. هذا التوجه يُعدُّ توجهاً معاكساً لرؤية نيومارك التواصلية

التقريبية وربما كان هذا سبباً من أسباب غياب مقاربات نيومارك في أعمال فينوتي والتي من أشهرها كتابه الشهير [اختفاء المترجم] الذي نشر في عام 1995. ولعلنا لاحظنا هنا في هذا المحور من النقاش حجم التجاذبات والتداخلات بين المقاربات الثنائية في نظرية الترجمة، ولاحظنا حضورَ النّظرية التواصلية لنيومارك بقوة في أغلب أعمال الدارسين والمتخصصين في الشأن الترجمي. ويبقى السؤال: هل الترجمة التواصلية حاضرة في أعمال مترجمينا أم أنّ الترجمة الدلالية لاتزال هي السّيدة الأولى في مجتمع النشاط الترجمي وهل يمكن لنص أدبي أنْ يحظى بهذا النوع من الترجمة وما مدى تكافؤ أثره وكفاءته للجمهور المتلقي؟ وقبل أن ننتقل إلى استعراض بعض الأمثلة التي نجد فيها إجابات على هذه التساؤلات، نجد من تمام العمل أن نكشف الغطاء عن موقف نيومارك من الجدلية السائدة حول الترجمة التي كانت وما زالت حاضرة في النظرية والتطبيق قديماً وحديثاً. أهي علمٌ مٌ أم فن؟

### 4.4. جدلية الترجمة بين العلم والفن

استكمالاً وتعقيباً على إحدى مفردات هذه الدراسة التي بدأ بها نقاشُنا والتي أكدنا فيها أنّ نيومارك يعتبر الترجمةَ صنعةً في ثنايا كتابه [مقاربات في الترجمة]، نرجع هنا ونشيُر إلى أنّ نيومارك (1981) قد أوضحَ وجهةَ نظره بخصوص هذا النشاط بقوله:

"إننا إذا نظرنا إلى هذه القضيةِ نظرةً واقعية، فإنّه يلزمنا التمييز بين ضربين في الترجمة: الأول فنٌ والثاني علمٌ، وذلك افتراضا منّا -ببعضٍ من تأكيد -أنّ الترجمة علمٌ عندما يتوفر لدينا ترجمةٌ واحدةٌ صحيحةٌ أو قُلْ "تفوقٌ موضوعيٌ" لترجمةِ كلمةٍ أو عبارة أو جملة، وهي من جهة أخرى فنٌ عندما نجد معان تقِل أو تزيد في معدل تكافئها. (ص136)

ولمن أراد سبرَ مفهومِ التكافؤ هذا على أصوله وبشيء من التفصيل فعليه الاطلاع على كتاب [بعبارات أخرى] لمنى بيكر(2018) المتخصصة الشهيرة في هذا المجال. وعَودٌ على سابِقٍ، وعلى سبيل المقابلة، نَجدُ الجزءَ الأكبر في واقعنا العربي ينسجمُ مع نيومارك في تعريفه للترجمة بوصفها صنعةً ونشاطاً. وربما وقفوا موقفاً وسطاً عند حدود هويتها فقال قائلهم من المتخصصين: " ونحن نميل إلى تصنيف الترجمة كعلم إنساني راقٍ، لا كعلم جامد جاف كالرياضيات مثلاً. فهي فن بكل ما وسعت تلك الكلمة من شاعرية وإبداع وموهبة أيضاً" (العيسوي، 1996، ص 33).

واستئنافاً، رأيتُني باحثاً متخصّصاً أجد أنّ نيومارك (1981) في ثنايا كتابه [مقاربات في الترجمة] قد أوضح من خلال شروحات دعمها برسومات توضيحية أنّ الترجمة عِلمٌ واشترط اتباعَ الطرقِ العلميةِ في إزالة كلّ الاحتمالات الأخرى حين يصل المترجم إلى لحظةِ اختيارِ المصطلحِ الفنيّ ذي المرجعية المقبولةِ معيارياً. وكذلك الحال في كل عمليةٍ فنيةٍ تتطلب من المترجم الدخولَ في عمليةٍ مستمرةٍ من الفرضيات، والتحققُ منها من خلالِ مرجعية معيارية متفق عليها يُزيلُ من خلالها كل المعاني المختلفة غير الدقيقة، ويختزل بواسطتها أيضاً تلك المعاني الصحيحة إلى أقلّ عددٍ ممكنٍ يصبح عنده اختيارُ المعنى في الترجمة واضحاً لا نزاع فيه، ومن ثُمّ يكون هذا العمل الترجمي عملاً علمياً في طبيعته وإجراءاته ونتائجه (ص 137). إنّ أيّ قارئٍ لكتاب نيومارك المذكور سيجد أنّ معالجته للقضايا التي يثيرها الكتاب بين النظرية والتطبيق هي معالجةٌ تكشف عن توجه الكاتب إلى اعتبار الترجمة فناً، يقتضي المهارة والخيال والحذق وحسن التمييز والتبصر والحدس والخبرة ومراجعة القواميسِ والموسوعات والقدرةُ على خلقِ البدائل والاختيار، وهذه كلها تقع في دائرة الفنّ لا في دائرة العلم. فبالنسبة لنيومارك القضية الأساسية في نظرية الترجمة هي تحديد طريقة مناسبة للترجمة. ولا يسعُني في هذا المقام إلا أن أُذكّر بما قاله حاتم (1997) بخصوص ما يتعين على المترجمين من تعيينَ الحدودِ التي تفصل نصاً من النصوص عن نص آخر، وأنّ عليهم أن يستخدموا ما

يناسب من الإشارات التي تضْمنُ إيضاحَ تعيين الحدود لقارئ النص الهدف، بما يتسق مع البُنى الهرمية للنص ومستويات السياق وعوامل أخرى (ص ص 74-75). وهذا ينسجم بوضوح مع مقاربة نيومارك وموقعها الوسطي من الجدلية السائدة. أما نظرية الترجمة بالنسبة له لاهي بالنظرية ولاهي بالعلم؛ بل كتلة معرفية تُعنى بعملية الترجمة والتي يتوجب علينا الحصول عليها والوصول إليها.

### 5.4. أمثلة تجسد أهمية النظرية التواصلية

إنّ للترجمة التواصلية أهميتها في الفعل الترجمي وتطبيقاته، ولنا هنا أنْ نزكيَ أحدَ القواميس المعنية بترجمة المثل الإنجليزي إلى العربية وهو قاموسُ الأمثال الإنجليزية الشائعة مترجمة ومشروحة لمحمد عطية (2004) والذي يحتوي على أكثر من ألف وخمسمائة مَثلٍ من ذخائر الحكمةِ في الثقافة الإنجليزية المعاصرة، وأجدُ فيه شخصياً ما يكشف عن أهمية الترجمة التواصلية في إطارها الثقافي العام فيما يتعلق بالأمثال والحكم التي تتميز بها ثقافة شعب عن شعب؛ ولنوضح ذلك ببعض الأمثلة من "الأمثال" التي أوردها القاموس:

(1) **All men are mortals** "كُلُّ مَنْ عَلَيْها فَانْ"،

(2) **All's well that ends well** "الأمور بخواتيمها"،

(3) **All good things come to an end** "كل نعيم زائل"،

وهذه الأخيرة تُرجِمت دلالياً بـ " كل الأشياء الجميلة لابدّ لها من نهاية"(ص 7). وهذه الأخيرة أيضاً تنسجم مع ما يراه نيومارك ويؤكد عليه بأنّ الترجمة الدلالية قد تكون هي الأفضل إن هي أخرجت الرسالة بنفس القوة للمتلقي في اللغة الهدف حين تؤدي وظيفةً تواصلية. إلا إنّ الترجمة رقم (3) أعلاه تتوافق كلياً مع الرؤية التواصلية التي تؤكد على دقة توصيل الرسالة وليس على دقة مغزاها الدلالي فحسب.

ولمزيد من الإيضاحِ لمفهومِ الترجمة التواصلية ِأسرد للقارئ هنا ما يذكره الدكتور يوسف بكّار (2016) في كتابه في محراب الترجمة إذ يقول:

فهل نستطيع أن نترجم الاصطلاحين الفارسيين "زمين خوردن" و "قسم خوردن" المبنيين على مجاز هو من خصائص اللّغة الفارسية وحدها إلى اللّغة العربية ترجمة حرفيّة فنقول ... "لا تأكل الأرض" و "أكل القسم"؟ لا، ففي مثل هذه الحالات لابد من ترجمة المعنى، فنقول: "لا تسقط" و "أقْسَم". كذلك الأمر في الأمثال...إنّه لمن الصعب أيضاً أن نترجم المثل الفارسي "كبوتر با كبوتر باز با باز " ترجمة حرفية فنقول: "الحمامة مع الحمامة والبازي مع البازي" وعندنا المثل العربيّ المشهور المطابق له مطابقة تامة: "إنّ الطيور على أشكالها تقع. " (ص20)

وما يجدر الإشارةُ إليه أنّ هناك تقاطعاً واضحاً بين مفهومي التواصلية والدلاليّة عند بكّار فكلاهما مناقضان للحرفيّة، فالمثال السابق عن ترجمة المثل الفارسي إلى العربية يورده بكّار (2016) وهو يناقش "الترجمة بالمعنى أو المعنويّة" -والألفاظ له. وهذه الألفاظ لبكّار بمعنى "الدلالية" التي عند نيومارك. أما التواصلية فيتحدث عنها باعتبارها "الترجمة بتصرف" وهذه الأخيرة ظاهرة في ترجمة الشعر كما يقول بكّار (2016). وهو يورد لها مثالا على ذلك وهي ترجمة الشاعر الغنائي احمد رامي الشعريّة لعددٍ من رباعيات الخيام، والتي حرص فيها المترجم على إظهار حسّ المعاناة والإبداع:

يا عالم الأسرار علم اليقينْ

يا كاشـف الضُرّ عن البائسين

يا قابل الأعـذار فئنـــا إلى

ظلّـك فاقبل توبة التـائبين. (ص 31)

هذا وتميل الترجمة الدلالية بحسب نيومارك إلى أن تكونَ أكثرَ تعقيداً وتعوزها السلاسةُ وتهتم بالتفاصيل أكثر، وذات تركيز أكبر، وتتعقب مسارَ الفكرة في النص بدلاً من مقصدِ مُرسلِ الرسالة أو ناقلِها. ويستطردُ نيومارك (1981) فيقول إنّه في الترجمة التواصلية كما في الترجمة الدلالية تكونُ ترجمةُ الكلمةِ بالكلمة (الترجمة الحرفية) هي الأفضل، علاوة على كونِها الترجمة الصحيحة الوحيدة. ولا عذر لمن يلجأ للمرادفات غير الضرورية، ناهيك عن إعادة الصياغة (التفسير والشرح) في أي نوعٍ من أنواع الترجمة (ص 39). هذا التصور النيوماركي ذكرناه سابقاً، ونورده هنا لتوضيح معناه من خلال ما أورده عناني (2004) مثالاً حياً من ترجمته هو، يعزز فيه تأكيده على ما يقوله نيومارك عن الترجمة الحرفية: النص المصدر بالإنجليزية: "...**to maximize the efficiency of the cognitive processes**." النص الهدف بالعربية (ترجمة حرفية): "تعظيم كفاءة العمليتين المعرفيتين"، النص الهدف (ترجمة تواصلية): "لزيادة قدرة المترجم – إلى أقصى حد ممكن-على فهم النص وترجمة معناه كاملاً."

ويعقب عناني على ترجمته هذه، فيقول إنّ ترجمته الحرفية خرجتْ في صورة غير مألوفة باللغة العربية التراثية ولكنّها واضحةٌ إذ أنّ الكلماتِ التي استعملها هي كلماتٌ شائعة. ثم يعود ليقولَ إنّه كان يستطيع أن يترجمها تواصليةً كما في المثال أعلاه. ويعقب قائلاً: " ولا شك أنّ الترجمة التوصيلية (الثانية) أيسرَ في الفهم". ثم يقول إنّ نيومارك يعي هذه المشكلة تماماً وأنّه إذا حدث تنازعٌ بين الترجمتين وظهر عجز الحرفية عن تحقيق تعادل التأثير فلابدّ من اللجوء إلى الترجمة التواصلية (ص 68). وللمزيد من شواهد تأثر عناني بثنائية الترجمة الدلالية التواصلية بإمكان القارئِ العودةُ إلى الفصلِ السادسِ بعنوان "الترجمة الأدبية والأدب المقارن" من كتابٍ آخر له بعنوان الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، نشرته مؤسسة هنداوي في عام 2023.

وربما أنّ إدراك نيومارك لهاتين الطريقتين وأهميتِهما في مسار الترجمة العملي قد قادتاه إلى التصريحِ دونما تحَفُّظ في ثنايا كتابه إلى أنّ نظريّة الترجمةِ لا تكادُ تنفصل عن منهجية الترجمة في أيّ مرحلة من المراحل. وهذا ما يؤمن به محمد عناني (2004) حين قال "والواقع أن الفصل مازال قائماً بين الممارسة والنظرية، وإن كنت أعارض هذا الفصل معارضة شديدة، وأعتقد مخلصاً أن الممارسة مهمة لتناول النظرية"(ص7). واستدراكاً على ما يقوله عناني نقول أيضاً ونعتقد بما نقول: إنّ الوعيَ بالنظرية الترجمية مهمٌ في تحديد استراتيجيات المترجم لإنتاج نص يؤدي وظيفةً معينةً بحسب رؤية المترجم السابقةِ لإنتاجه أو المرافقةِ له أو حتى بعد إنتاجه، فقد يضطرُّ إلى تعديله بحسب مقاربةٍ نظريةٍ تبدو له أنّها الأنسب. أقول هذا من واقع تجربتي في النشاط الترجمي الحر؛ سواء العلمي أو الأدبي. إنّ الوعيُ النظري-كما تؤكد ذلك بيكر(2018) في مقدّمة كتابها الشهير بعبارات أخرى: كتاب تعليمي عن الترجمة -له قيمته في التشجيع على تأمل الفعل والطريقة التي يمارَسُ بها هذا الفعل؛ بل وأيضاً سبب الفعل لطريقة دون غيرها. وتؤكد أيضاً بأنّ التدريب النظري يقلل المخاطر ويُكسِب الثقةَ المبنيةَ على المعرفة الملموسة؛ بل ويسهم في تطوير المعرفة في هذا الحقل. وهي تشدد في ذات الوقت على أن المعرفة النظرية قد لا تؤتي أُكُلها إنْ هي بقيت بعيداً عن واقع الممارسة.

وفي كتاب جيمس ديكنز وهيرفي وهيغينز (2017) نَجدُ وعياً كبيراً بنظرية نيومارك ليس لأنّ هذا الكتاب العملي في الترجمة العربية الإنجليزية اعتمدَ كتابَ [مقاربات في الترجمة] و[المرشد في الترجمة] من ضمن مصادره النظرية فحسب؛ بل لأنّ المؤلفين اعتمدوا النّظرية مدخلاً أساسياً لترجماتهم وقدَّموا على ذلك شواهدَ حيةً في الفصل الثاني المخصّص لمعالجة الترجمة بوصفها منتجاً؛ وفي الفصل الرابع المخصص لمعالجة الترجمة بوصفها نقلاً ثقافياً. ومن هذه الأمثلة ما هو إعلانٌ عامٌ كقولنا "ممنوع التدخين"، أو ما يكون مثلاً كقولنا "ضرَبَ عصفورين بحجر"، أو تعبيراً معهوداً كقولنا "لا شُكرَ على واجب". فتترجم هذه ترجمةً تواصلية على التوالي بالآتي:"**No smoking**،**"To kill two birds with one stone**،**"Don't mention it" and "**"، ثم يعلقون بقولهم إنّ هذه الأمثلة توحي بأنّ الترجمة التواصلية شائعة؛ وبرغم شيوعها ليست بأكثرَ جدوى من الترجمة الحرفية لأنّها قد تؤدي إلى حجب بعض المفردات المهمة المرتبطة بمحتوى الرسالة. ولكنّهما يعودان لتقريرِ أنّها طبيعيةٌ في حال كانت الترجمةُ الحرفيةُ غيرَ مناسبة. ويدللان على ذلك بشواهد منها قولنا "نعيماً" في العربية لشخص هذب شعره عند الحلاق، فيرد عليك بقوله "أنعم الله عليك". وهذه تترجم بصورة طبيعية في الإنجليزية إلى "**Your hair looks nice" and "Thanks very much" or "That's kind of you to say so**" على التوالي (ص ص 15، 41).

يقول سعيد الغانمي (2014) في مقال بعنوان "الترجمة صنفاً أدبياً" وهو يتحدث عن استخدامه لحم البقر في لغة النص الهدف عوضاً عن لحم الخنزير في النص المصدر: "دعوني أقدِّم مثالاً حقيقياً حول ترجمة المضامين الثَّقافيَّة. لقد ترجمتُ عام 2006 كتاب جون سيرل العقل واللُّغة والمجتمع إلى اللُّغة العربيَّة...من هنا كان عليَّ أن أحافظَ على المكافئ الثقافِّي الملائم" (ص ص 233-234).

ومن هذا يظهر لنا أنّ الميل إلى التخلي عن المكافئ المرجعي أو الدلالي إلى التواصلي سياسة تفرض نفسها أحيانا على المترجمين. ومثالنا أعلاه كان شاهداً على تبني النظرية الثقافية في التطبيق العملي المبني على الفهم النظري التواصلي لغرض إحداثِ أثرٍ يشبه أثرَ النّص الأصليّ على قارئيه، مع مراعاةٍ واضحةٍ لحساسية السياق في الثقافة الهدف.

وما قصدناه من إيراد هذه الشواهد جزءاً من النقاش؛ ليس لبيان استخدام المترجمين الترجمةَ التواصلية بوصفها منهجيةً قائمةً في ترجماتهم: فَهُمْ قد يستخدمونها ربّما من واقعِ إدراكهم للثنائية القديمة المعروفة في النشاط الترجمي بمسمى الترجمة الحرفية والترجمة الحرة، التي لها تقاطعها الواضح مع ثنائية نيومارك، أو حتى بدون أي إدراك لنظريات الترجمة. لكنّنا أردنا في الواقع أن نصل بهذه الشواهد إلى نتيجةٍ مهمةٍ من نتائج هذا البحث وهي أنّ النظرية الترجمية بصفة عامة لها حضور وتأثيرٌ ملحوظٌ في نشاط المترجمين وأنّ المقاربة التواصلية الدلالية لنيومارك بصفة خاصة حاضرةً وبقوة في الواقع التطبيقي لمن تأتّى له معرفتُها والاطلاع عليها. ويوافقُ طرحُنا هذا ما تقولُه بوز بير من أنّ النظرية يمكن أنْ تعمل على توعية المترجمين كونهم قرّاءً وتعملَ على إثارة القضايا والمشاكل الرئيسة التي يجب حلُّها، وكذلك توجيه المترجمين نحو إيجاد الحلول المناسبة (تشيسترمان، 2017، ص 82).

## 5. منهجية البحث

إدراكاً من الدارس لأهمية الدراسة وأهمية عرضها بنسَقٍ منهجيٍ واضحٍ وإيماناً منه بعمق فرضياتها وما تسعى إليه الدراسة من تحقيق نتائج علمية وعملية تصل بها إلى جعلها في متناول الباحث العربي المعني بالترجمة ودراساتها النظرية ونشاطاتها

العملية، شرع الدارس في رسم سياسة موضوعية غير مؤدلجة إلا فيما يتعلق برؤيتها الهادفة إلى إيصال المعلومة النظرية الترجمية إلى المستفيد العربي.

هذا اقتضى الوقوف على جدليات المعرفة في المنتصف بدون تحيز عاطفيٍ أو فكريٍ (إيديولوجي) لغرض التحليل النقدي الفاحص واستعراض الآراء في إطار نظريات الترجمة عموماً والنظرية الترجمية التواصلية خصوصاُ. ونظراً لتقاطع هذه النظرية مع مفاهيم نظرية أخرى مثل الترجمة الدلالية ومفهوم التكافؤ الدينامي واستراتيجيات التوطين الثقافي وغيرها، فقد لزاماً وضعت الدراسة جهدها في إطارٍ منهجيٍ وصفيٍ مقارن يضم كل هذا المقاربات النظرية للخروج بنتائج موضوعية وتوصيات مناسبة. أما فيما يتعلق بمنهجية المعالجة الفنية فقد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالرؤية العامة للبحث في إيصال فكر نيومارك للمستفيد العربي المتخصص. اعتمد التحليل النقدي على استعراض الأفكار والمفاهيم النيوماركية استعراضاً معلوماتياً وصفياً باعتبارها المادة الأولية للدراسة وإظهارها عن طريق ترجمتها مباشرة بواسطة الباحث (نحن) أو ما تُرجم من أفكاره بوسائط أخرى وتظهر مرتبة ترتيباً فكرياً لا بحسب ظهورها التتابعي في كتاب نيومارك موضوع الدراسة الأساس. ونقر هنا بأنّ كل الترجمات الواردة عن المصادر الأجنبية هي لنا نحن في ثنايا هذا البحث، وأما ترجمات غيرنا فيشار إليها في ذات السياق بذكر اسْم من ترجمها أو بتوثيقها فنياً بحسب المستجد. وللحد من الظهور الذاتي والتقليل من ظاهرة الأنا، فقد ظهرت مفردات مثل "الدارس" أو "الباحث" مشيرة إلينا، و"الدراسة" أو "البحث" أو "الجهد" تظهر مشيرة إلى بحثنا هذا إلا إذا اقتضى السياقُ ظهورَ الضمائر المشيرة إلينا لتلافي الغموض.

## 6. النتائج ومناقشتها

في هذا الجزء، سيتم عرض النتائج الرئيسية التي توصلت إليها الدراسة، ومناقشتها وتحليلها في ضوء الفرضية البحثية التي انطلقت منها، وذلك لبيان مدى توافق هذه النتائج مع الافتراضات الأولية من خلال ما قدّمناه من تحليل ونقد في دراستنا هذه:

**أولاً:** وبحسب الأهمية العملية والتطبيقية، نجد أنّ الترجمةَ التواصليةَ هي الأكفأ والأقدر على نقل المعاني التي يحتويها النص الأصلي، لأنّها ليست مقيدةٌ بأغلالِ لغةِ النّص المصدر اللغوية وقواعده الشكلية، وهي دائماً قادرةٌ على إيصال "رسالة" كاتب النص المصدر، والتي هي لبّ المعنى، والتأثيرِ في قارئ النص الهدف إن كان النص المصدر في بيئة قريبة منه زمنياً ومكانياً. وهذا تأكيد على تميز المقاربة التواصلية عالمياً.

**ثانياً:** الترجمة الدلالية ضرب من الترجمة يحترم الكاتب ونَصه، ويسعى إلى مراقبةِ الشكلِ والسياقِ، وقد تكون في بعض النصوص وخاصة الغامضةِ منها هي الأقدر على توليد ترجمةٍ تفسيريةٍ شارحةٍ، تصل بالمعنى إلى ذهن القارئ ولكن دون عامل التأثير المكافئ كما يظهر ذلك في نقل النصوص الدينية والشعر. وهذا تأكيد على قدرة نيومارك على التمييز الواعي بين المقاربتين وبيان أهمية كل منهما بحسب أنواع النصوص.

**ثالثاً:** دراستنا هذه من خلال تحليلها لثنائية نيومارك كشفت للقارئ بجلاء أنّ بيتر نيومارك لا يريد أنْ يأتي بعقيدة ترجمية تجيز الأولى (التواصلية) وتحرّم الثانية (الدلالية)؛ بل على العكس من ذلك، إنه يرى أنّ نوعَ النص، والبيئةَ الزمنية والمكانية، ونوعَ الخطاب، والغرضَ من الترجمة كلّها عواملُ تجعلُ من الترجمة ونظرياتها ممارساتٍ لها أهميتها بوصفها ظاهرةً اجتماعيةً،

لها مالها وعليها ما عليها. وهو بهذا قارب بين المفهومين في ثنائيةٍ صنوانية واضحةِ التميز واقترحها حلاً للتقريب بين الثنائيات النظرية المتعددة. وعليه فإنّه بالتأصيل لثنائيته هذه كان أسبق، وبالمصطلحَين ومفهوميهما أحقّ.

والكاتب بهذا يكون قد أسهم إسهاماً فاعلاً في توضيح طبيعة عملية الترجمة الحقيقية ونظريّاتها القائمةِ على مبدأ التواصل؛ وهو بهذا يكون قد وضع حداً للجدل الدائر والمستمر حولَ تلك الأطروحات، والتعارضِ بين ما هو مستحيلٌ متأصِّل وضروري مُطلَق: الأول اعتقادٌ بعدم جدوى التنظير مطلقاً، والثاني اعتقادٌ مطلقٌ بضرورة وجوده.

## 7. الخلاصة

بناءً على النتائج المستخلصة من هذه الدراسة وتحليلها لثنائية بيتر نيومارك في الترجمة التواصلية والدلالية، توصي الدراسة بما يلي:

1. **تعزيز نقل الفكر النظري الترجمي إلى العربية:** ضرورة تكثيف الجهود لنقل المؤلفات والأفكار النظرية الأساسية في حقل دراسات الترجمة إلى اللغة العربية، سواء عبر الترجمة المباشرة للأعمال المحورية، أو من خلال الدراسات النقدية والتحليلية المركزة التي تُعنى بتوضيح ونقل جوهر هذه النظريات وتأصيلها في السياق العربي.
2. **التأكيد على القيمة العملية للنظرية:** دعوة المتخصصين والممارسين في حقل الترجمة إلى عدم تهميش الفكر النظري الترجمي، بل الإيمان بقيمته الجوهرية وضرورة ربطه بالممارسة العملية، باعتباره أداة أساسية لتطوير مهارات اتخاذ القرار الترجمي وتعزيز فهم طبيعة عملية الترجمة المعقدة في عالم يتزايد فيه الاحتياج للتواصل الفعال.
3. **تفعيل استخدام الأطر النظرية في التطبيق والتحليل:** حث الأكاديميين والمدرسين والممارسين والنقاد على تفعيل استخدام المفاهيم والأطر النظرية (مثل ثنائية نيومارك) في التدريس والتطبيق العملي والتحليل النقدي للترجمات، واعتبارها أدوات منهجية تساعد على تبرير الخيارات الترجمية وتقييمها بناءً على أسس علمية ووفقاً لسياق النص والهدف من الترجمة.
4. **دعم البحث الأكاديمي في النظرية وتطبيقاتها:** مطالبة المؤسسات الأكاديمية والثقافية بتبني سياسات داعمة للبحث في مجال النظرية الترجمية وتطبيقاتها، وتشجيع الباحثين على إجراء مزيد من الدراسات المعمقة، سواء كانت تطبيقية لاختبار النظريات في سياقات متنوعة، أو مقارنة بين مختلف المقاربات النظرية، بما يسهم في إثراء الحقل النظري وتطوير الممارسة الترجمية باللغة العربية.

## بيان الشكر

حصل هذا البحث على المنحة (451/2024) من المرصد العربي للترجمة التابع لمنظمة الإلكسو، وبدعم من هيئة الأدب والنشر والترجمة بالمملكة العربية السعودية.

## قائمة البيبليوغرافيا

### المراجع العربية


- ألبير، أ. هـ. (2007). *الترجمة ونظرياتها: مدخل إلى علم الترجمة* (ع. إ. المنوفي، مترجم). المركز القومي للترجمة. (نشر العمل الأصلي في 2004).
- بكّار، ي. (2016). *في محراب الترجمة: إضاءات وتجارب ونقد*. الآن ناشرون وموزعون.
- عطية، م. (2004). *قاموس الأمثال الإنجليزية: مترجمة ومشروحة*. https://www.books-library.net
- عناني، م. (2004). *نظرية الترجمة الحديثة: مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة*. الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان.
- عناني، م. (2023). *الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق*. هنداوي.
- العيسوي، ب. (1996). *الترجمة إلى العربية: قضايا وآراء*. دار الفكر العربي.
- الغانمي، س. (2014). الترجمة صنفًا أدبيًا. في *الترجمة وإشكالات المثاقفة: أعمال مؤتمر منتدى العلاقات العربية والدولية* (ص ص 231-245). الدوحة، قطر.


### المراجع الإنجليزية


- as-Safi, A. B. (2011). *Translation theories, strategies and basic theoretical issues*. Al Manhal.
- Baker, M. (2018). *In other words : A coursebook on translation*. Routledge.
- Chesterman, A. (2017). Causes, translations, effects. In *Reflections on translation theory : Selected papers 1993–2014* (Vol. 132, pp. 97–121). John Benjamins Publishing Company. https://doi.org/10.1075/btl.132
- Dickins, J., Hervey, S., & Higgins, I. (2017). *Thinking Arabic translation: A course in translation method, Arabic to English* [PDF document] (2nd ed.). London & New York: Routledge. https://www.academia.edu/40452076/Thinking_Arabic_Translation
- Hatim, B. (1997). *Communication across cultures : Translation theory and contrastive text linguistics*. Univ. of Exeter Press.
- Hatim, B., & Mason, I. (1997). *The translator as communicator*. Routledge.
- Hatim, B., & Munday, J. (2004). *Translation : An advanced resource book*. Routledge.
- House, J. (1997). *A model for translation quality assessment*. Tübingen: Gunter Narr.
- House, J. (2015). *Translation quality assessment : Past and present*. Routledge.
- House, J. (2016). *Translation as communication across languages and cultures*. Routledge.

- Zu, M., & Dong, Y. (2015). A brief analysis of communicative translation and semantic translation. *Proceedings of the 2015 Joint International Social Science, Education, Language, Management and Business Conference*, 269–272. Atlantis Press. https://doi.org/10.2991/jisem-15.2015.55
- Munday, J. (2016). *Introducing translation studies : Theories and applications*. Routledge.
- Newmark, P. (1981). *Approaches to translation*. Pergamon Press.
- Newmark, P. (1988). *A textbook of translation*. Prentice Hall.
- Nida, E. A. (1964). *Towards a science of translation : With special reference to principles and procedures involved in Bible translation*. Brill.
- Nida, E. A. (1969). Science of translation. *Language, 45*(3), 483–498. https://www.jstor.org/stable/411434
- Nida, E. A., & Taber, C. A. (1982). *The theory and practice of translation*. Brill.
- Nida, E. A. (1991). Theories of translation. *TTR, 4*(1), 19–32. https://doi.org/10.7202/037079ar
- Pym, A. (2023). *Exploring translation studies*. Routledge.
- Reiss, K., & Vermeer, H. J. (2014). *Towards a general theory of translational action : Skopos theory explained* (C. Nord, Trans.). Routledge.
- Robinson, D. (2012). *Becoming a translator : An introduction to the theory and practice of translation* [PDF document]. Routledge.
- Venuti, L. (1995). *The translator's invisibility : A history of translation*. Routledge.
- Wang, R. (2023). A comparative analysis of Eugene Nida's and Peter Newmark's perspectives on cultural context in translation. *Journal of Education and Educational Research, 6*(3), 106–112. https://doi.org/10.54097/hkm7qj64

## Romanization of Arabic Bibliography

- Al-Bayr, A. H. (2007). *Al-Tarjama wa Nadhariyyatuha: Madkhal ila 'Ilm al-Tarjama* [Translation and Theories of Translation: An Introduction to Translation Studies] (A. I. al-Manufi, Trans.). Cairo: Al-Markaz al-Qawmi li-al-Tarjama. (Original work published 2004).
- Bakkar, Y. (2016). *Fi Mihrab al-Tarjama: Idhā'āt wa Tajārib wa Naqd* [In the Sanctuary of Translation: Insights, Experiences, and Criticism]. Amman: Alān Nashirūn wa Muwazī'ūn.
- Atīyyah, M. (2004). *Qāmūs al-Amthāl al-Inglīziyyah: Mutarjamah wa Mashrūhah* [Dictionary of English Proverbs: Translated and Explained]. https://www.books-library.net
- Anānī, M. (2004). *Nadhariyat al-Tarjama al-Hadīthah: Madkhal ila Mabḥath Dirāsāt al-Tarjama* [Modern Translation Theory: An Introduction to the Field of Translation Studies]. Giza: Al-Sharikah al-Miṣriyyah al-ʻĀlamīyah li-l-Nashr–Longman.

- Anānī, M. (2023). *Al-Tarjama al-Adabīyyah bayna al-Nadhariyah wa al-Taṭbīq* [Literary Translation Between Theory and Practice]. Windsor: Hindāwī.
- Al-‘Īsawī, B. (1996). *Al-Tarjama ila al-‘Arabīyah: Qadāyā wa Ārā’* [Translation into Arabic: Issues and Perspectives]. Cairo: Dār al-Fikr al-‘Arabī.
- Al-Ghannamī, S. (2014). *Al-Tarjamah Ṣinfan Adabīyan* [Translation as a Literary Genre]. In *Al-Tarjama wa Ishkālāt al-Muthāqafah: A‘māl Muntada al-‘Alaqāt al-‘Arabīyyah wa al-Duwalīyyah* [Translation and Issues of Cultural Exchange: Proceedings of the Forum on Arab and International Relations] (pp. 231-245). Doha, Qatar.
- Newmark, P. (2006). *Al-Jāmi‘ fī al-Tarjamah* [A Textbook of Translation] (H. Ghazālah, Ar Trans.). Beirut: Dār Maktabat al-Hilāl. (Original work published 1988).